الإعلام في زمن الحروب و الأزمات: التلاعب و التضليل و التشويه

د/ محمد قيراط
أستاذ مشارك، كلية الاتصال
جامعة الشارقة

"ما زلنا نجهل القيمة الحقيقية للحرب الإعلامية التي يجب أن نخوضها و على كافة المستويات الإعلامية"

د. سمير مطاوع، وزير الإعلام الأردني الأسبق.

"ما تعرض له الصحفيون من عمليات قصف و اغتيال و حصار داخل بغداد يعتبر جريمة حرب".

غازي العريضي، وزير الإعلام اللبناني السابق.

"إن الأمريكيين يستشهدون بمعاهدة جنيف حين يتعلق الأمر بصور أسراهم في حرب العراق، لكنهم سرعان ما يتناسونها حين يقصفون مبنى للتلفزيون هو ملك للسلطات المدنية و تحميه بالتالي المعاهدات نفسها."

روبير مينار، الأمين العام لمنظمة "مراسلون بلا حدود".

"سُميت حرب الخليج الثانية بحرب تلفزيون الكابيل، و سميت حرب الفيتنام بحرب التلفزيون الأولى. الحرب العالمية الثانية كانت حرب إذاعة. الحرب العالمية الأولى لُقبت بحرب الدعاية الأولى. أما حرب الخليج الثالثة فهي بدون منازع حرب الانترنيت"

ري هيبرت،أستاذ الاتصال الجماهيري
و العلاقات العامة، جامعة ماريلاند، الولايات المتحدة الأمريكية.

Abstract

This paper looks at the failure of mass communication theory in explaining the behavior of media organizations during wars and crises. Principles of freedom of the press and objectivity are not respected and the journalism practice is not the same in times of war than in normal times. Very often, the news organization sides with the position of its mother country, and the journalist becomes "nationalistic" and patriotic and aligns himself to his country's position from the war at the expense of professionalism, objectivity, honesty and ethics of journalism practices.

As a theoretical framework the study used the market model and the manipulative model, and the case study approach– the Second Gulf War (1990-1991), the 9/11 attacks on the US, the Afghan War and lastly the Third Gulf War (2003)- as a research method. Major research questions of the study are: What directions did the coverage of the war on Iraq take and the nature of intrusion and pressures on journalists during their reporting of the casualties of the war. The hypotheses of the study were as follows: According to the manipulative model the media coverage of the Iraqi war will be partial and biased. The four theories of the press as well as the market model do not provide an explanation for the nature of media war coverage. In times of wars and crises journalism is mixed up with propaganda, public relations, psychological warfare and disinformation. The media practice gets away from professionalism and the principles of objectivity and freedom of the press. Findings of the study show the failure of the theories of the press to explain the practice of the media in times of wars and crises. While the manipulative model explains the use and exploitation of media organizations and the communicators by military, economic and political forces for the purpose of propaganda, public relations, psychological warfare, manipulation, disinformation and distortion.

ملخص البحث:

تناقش هذه الورقة أزمة النظرية الإعلامية في تفسير سلوك الصحافيين و المؤسسات الإعلامية في زمن الحروب، و الأزمات حيث نلاحظ اختراق مبادئ الحرية الصحفية و الموضوعية و نلاحظ كذلك اختلاف الممارسة الإعلامية في زمن الحرب عنها في الظروف العادية، فغالبا ما تنحاز المؤسسة الإعلامية في تغطية الحرب لموقف الدولة التي تنتمي إليها من الحرب و يصبح الصحافي "وطني" و منحاز بطريقة عمياء إلى بلده بغض النظر عن الموضوعية و الحياد و الاحترافية و النزاهة و أخلاقيات العمل الإعلامي.

تتخذ الدراسة كإطار نظري نموذج السوق The Market Model و نموذج التلاعب The Manipulative Model و تعتمد في منهجيتها على دراسة الحالة حيث تنظر في التغطية الإعلامية لحرب الخليج الثانية (1990-1991) و حرب أفغانستان و أحداث 11 سبتمبر 2001 و أخيرا حرب الخليج الثالثة (2003) – الحرب الأمريكية البريطانية على العراق.من أهم أسئلة الدراسة اتجاهات التغطية الإعلامية للحرب على العراق و طبيعة التجاوزات و الضغوط التي تمارس على الصحافيين أثناء القيام بعملهم. و من أهم فرضيات الدراسة الانحياز للبلد الأم في تغطية الحروب حسب نموذج التلاعب، و كذلك المزج و الخلط بين الإعلام و الدعاية و العلاقات العامة و الحرب النفسية و التضليل و الابتعاد كليا عن مبادئ الموضوعية و الحرية.تؤكد نتائج الدراسة عدم انسحاب أي نظرية إعلامية على واقع الممارسة الإعلامية خلال الحروب. من جهة أخرى يفسر نموذج التلاعب استعمال المؤسسات الإعلامية و القائمين بالاتصال أثناء الحروب من قبل القوى العسكرية و الاقتصادية و السياسية لغرض التضليل و التشويه و الدعاية و الحرب النفسية.

مقدمة:

يُقال أن الحرب بدون تليفزيون ليست حرب و الحرب بدون تلفزيون حدث مجرد، لكن الحرب على انشاشة تعتبر تجربة حية منقولة للملايين في مجالسهم. ففي حرب أمريكا على العراق بدأت الحرب الإعلامية قبل العسكرية و شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربا إعلامية واسعة عبر مختلف الوسائل الإعلامية من صحف و مجلات و إذاعات و قنوات فضائية و صحافة إلكترونية و انترنيت ضد النظام العراقي. كما نلاحظ من جهة أخرى أن غالبية الدراسات التي تطرقت إلى إشكالية تغطية النزاعات و الحروب خلصت إلى أن التغطية اتسمت بالانحياز و التعتيم و التشويه و التخلي عن مبادئ العمل الإعلامي النزيه و الملتزم و المتمثل في الموضوعية و الحرية.

كسابقاتها من الحروب كشفت الحرب على العراق عدة أساطير و أكاذيب رددها الكثير من منظري الديمقراطية و حرية الصحافة و حقوق الإنسان. فكان من أهم و أوائل ضحايا الحرب حرية الصحافة و حياة الصحافيين أنفسهم، حيث خلّفت الحرب مقتل 13 صحافي و مصور دفعوا حياتهم ثمنا للكشف عن الحقيقة و تقديم وقائع الحرب كما هي للمشاهدين في جميع أنحاء العالم. الإجراءات و الطرق التي استعملتها أمريكا في تعاملها مع الصحافيين و المراسلين تجاوزت الإيتيكت و الأخلاق و احترام المهنة و الحرية و الاستقلالية. و بكل بساطة طبقت أمريكا مبدأ "من لا ينضم إلينا فهو ضدنا" أي أنه من لا يلتحق بمجمع الصحافيين بالبنتاجون فهو معرض لمخاطر الحرب، أي بعبارة أخرى قد يموت برصاص الأمريكيين أنفسهم إذا كشف عن بعض الحقائق و بعض الصور التي من شأنها أن تكشف عن المجازر التي كانت ترتكب في حق الأطفال و المدنيين العزل.

نظرية حرية الصحافة التي تتغنى بها أمريكا في كل مناسبة سقطت خلال العدوان على العراق كما سقطت من قبل أثناء النزاعات و الصراعات الدولية، و أصبحت الآلة الإعلامية الأمريكية لا تختلف في تبعيتها للسلطة و في التضليل

و التعتيم عن مثيلاتها في أعتق الديكتاتوريات في العالم. و هكذا أصبح التعديل الأول في الدستور الأمريكي و الذي يقّر مبدأ حماية الصحافة و الصحافيين من جبروت السلطة و تعسفها و استبدادها من أجل الاستقلالية و الموضوعية و الحرية أصبح من مصنفات الماضي و الأرشيف. فأمريكا حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن تسكت كل الأصوات المعارضة للحرب و حاولت كذلك القضاء على كل من يقدم وجهة نظر مغايرة للحرب. هكذا إذن سقطت أسطورة الموضوعية و أسطورة استعراض مختلف وجهات النظر و سيطرت أحادية الرؤية و أن الكلمة الأخيرة عادت لمن يملك القوة و السلطة. فباسم الأمن القومي و المصالح القومية الأمريكية ضربت عرض الحائط حرية الصحافة و مبادئ الموضوعية والنزاهة و الالتزام و الحياد و انتهكت كل الأعراف و القيم و المبادئ التي من شأنها أن تصون حرية الكلمة و الصورة و الرأي و مبدأ السوق الحرة للأفكار.

تحاول هذه الورقة الكشف عن الممارسات الدعائية و آليات التضليل و التلاعب التي تستعملها الآلة الإعلامية عند القيام بتغطية الحروب و الأزمات. فتاريخيا تميز الإعلام بعدم موضوعيته و حياده و كانت حجج الوطنية و المصالح القومية هي مبررات الخروج عن قواعد الممارسة الإعلامية النزيهة والأخلاقية. فمن حرب الفيتنام إلى حرب الجزائر إلى الفولكلاند أيلاند إلى حرب الخليج الثانية و أفغانستان و الحرب الأخيرة على العراق تفننت وسائل الإعلام المختلفة في فبركة الواقع بدلا من تغطيته و تقديمه كما هو للرأي العام. و لم يختلف في هذه الممارسة الإعلام الغربي الديمقراطي المتطور عن إعلام الديكتاتوريات و الأنظمة السلطوية و استسلم الجميع لإرادة السياسيين و تجار الحروب و الأسلحة ضاربين عرض الحائط مبادئ الموضوعية و حرية الصحافة و النزاهة و الحياد و البحث عن الحقيقة. و ما حدث في ميدان الحرب و بؤر التوتر و الأزمات هو تحالف صارخ بين السلطة و الإعلام.

إشكالية الدراسة:

من خلال تغطية الحروب نلاحظ أزمة النظرية الإعلامية في تفسير سلوك الصحافيين و المؤسسات الإعلامية. فعلى عكس الظروف العادية و الطبيعية ، تواجه التغطية في زمن الحروب و الأزمات رهانات و تحديات عديدة و تصبح الممارسة الإعلامية جزء لا يتجزأ من الحرب نفسها. ظروف الحرب إذن تفرز اختراق مبادئ الحرية و الموضوعية، بحيث أن الممارسة الإعلامية خلال الحرب تختلف عنها في الظروف العادية. و في الأخير نلاحظ انحياز المؤسسة الإعلامية في تغطيتها للحرب إلى موقف الدولة التي تنتمي إليها من الحرب.(لعياضي، 2004؛ بومعيزة 2004، Carruters, 2000,Kirat,1989)

الإطار النظري للدراسة:

يمكن القول أن المنظرين لممارسة الإعلام في المجتمعات المختلفة و كذلك الدارسين لعلاقة الإعلام بالسلطة و المؤسسات السياسية و الاقتصادية فشلوا فشلا كبيرا في وضع معايير و مقومات لشرح سلوك المؤسسات الإعلامية و الصحفيين أثناء تغطية الحروب و الأزمات. فالنظريات الأربع Four Theories of the Press نظرية السلطة،نظرية الحرية،النظرية السوفيتية،نظرية المسؤولية الاجتماعية، (Siebert, Peterson, Schramm,1956) لم تتطرق إلى إشكالية علاقة الحكومة بوسائل الإعلام في زمن الحرب و الأزمات، كما لم تتطرق إلى علاقة الصحافي بالسلطة في هذه الظروف. و ما يمكن قوله في هذا الإطار هو أن الممارسة الإعلامية في زمن الحروب و الأزمات لا تختلف من نظام إعلامي إلى أخر و لا من نظام سياسي إلى أخر و تصبح متشابهة حيث يتحول الإعلام إلى مزيج من الإعلام و العلاقات العامة و الحرب النفسية و الدعاية و التلاعب و التضليل و التشويه سواء تعلق الأمر بالدول الديمقراطية أو الدول الديكتاتورية أو الدول المتقدمة أو الدول النامية أو غيرها من الأنظمة السياسية المتواجدة في هذا الكون. من جهة أخرى نلاحظ أن الممارسة الإعلامية في زمن السلم و الظروف

العادية تختلف عن زمن الحروب و الأزمات خاصة إذا تعلق الأمر بالدول الديمقراطية و التي لها تقاليد في حرية الصحافة.

نموذج السوق The Market Model :

حسب هذا النموذج تعتبر الأخبار فئة طبيعية من الأحداث التي يجب أن تنقل بمهنية و بأكبر قدر من الموضوعية. فالصحافي يخرج إلى الميدان لمتابعة الأخبار و يعود بها لرئيس قسمه. فحسب هذا النموذج تفرض الموضوعية نفسها في العمل الإعلامي و القائم بالاتصال يبحث عن الأخبار التي تهم القارئ و المجتمع بعيدا عن أية اعتبارات أخرى. (Cohen & Young, 1981:17)

نموذج التلاعب The Manipulative Model:

حسب هذا النموذج يُنظر إلى وسائل الإعلام و الصحافيين كوسائل لتحقيق مصالح مالكي وسائل المؤسسات الإعلامية التي تتعارض مع مصالح الجمهور و مع أي عرض موضوعي و حيادي للأحداث في العالم. الصحافيون يمارسون عملهم و ينتقون الأخبار وفق معايير أيديولوجية لخدمة مصالح أصحاب الوسيلة الإعلامية و يقومون بإلغاء كل ما يتنافى أو يتعارض مع تلك المصالح. يشوّهون الحقيقة و الواقع بما يتماشى مع الاحتياجات الدعائية لرؤسائهم، كما أنهم يقيمون و ينشرون نسيج من الأكاذيب لتغليط الجماهير و تكييف الرأي العام وفق الاعتبارات السياسية و الاقتصادية و المالية للذين يملكون وسائل الإنتاج (أصحاب رؤوس الأموال). فوفق نموذج إعلام السوق، الأخبار هي استعراض الواقع، أما في نموذج التلاعب، الأخبار هي تكييف الواقع، بعبارة أخرى اغتصاب الواقع و فبركته لخدمة مصالح القوى الفاعلة في المجتمع، و التي هي بعيدة كل البعد عن الجماهير العريضة في المجتمع. (Cohen & Young, 1981:17-18)

منهجية الدراسة:

اعتمد هذا البحث منهج دراسة الحالة حيث تم دراسة التغطية الإعلامية لحرب الخليج الثانية (1990-1991)، تغطية أزمة أحداث 11 سبتمبر 2001،

و التغطية الإعلامية لحرب أفغانستان و أخيرا التغطية الإعلامية لحرب الخليج الثالثة (2003) الحرب الأمريكية البريطانية على العراق. هذه الأحداث التاريخية الأربعة اعتمدتها الدراسة للنظر في تعامل المؤسسات الإعلامية مع الحروب و الأزمات و كيفية تغطية وقائعها و تفاصيلها للرأي العام.

أسئلة البحث:

1. ما هي اتجاهات التغطية الإعلامية في زمن الحروب و الأزمات؟
2. ما هي التجاوزات التي ارتكبت في حق الصحافيين في أداء عملهم؟
3. إلى أي مدى اتسمت تغطية الحرب بالموضوعية و الحياد و عدم الانحياز؟
4. هل توفرت الظروف و المستلزمات لتغطية إعلامية نزيهة و موضوعية للحروب و الأزمات؟
5. إلى أي مدى عكست وسائل الإعلام مواقف و رؤى حكوماتها و تخلت عن المهنية و الموضوعية في تغطية الحرب و الأزمات؟
6. إلى أي مدى تتعذر ممارسة الموضوعية و الحرية في تغطية الحروب و الأزمات؟

فرضيات البحث:

ف1:حسب نموذج التلاعب تتسم التغطية الإعلامية للحرب على العراق بالانحياز لموقف البلد الأم.

ف2:لا تنسحب النظريات الأربع للصحافة و لا نموذج السوق على التغطية الإعلامية للحرب على العراق.

ف3:في تغطية الحروب يمتزج الإعلام بالدعاية و الحرب النفسية و يبتعد كليا عن مبادئ الموضوعية و الحرية.

الحالة الدراسية الأولى: حرب الخليج الثانية: البنتاجون و سي. أن. أن و قصة "المجمع":

أثناء حرب الخليج الثانية سنة 1991 تحكّم البنتاجون في التغطية الإعلامية للحرب كما شاء ووفق ميكانيزمات محكمة سمحت له أن يختار و ينتقي الأخبار و الأحداث والوقائع التي تخدم وجهة نظر و أهداف الولايات المتحدة الأمريكية. البنتاجون استعمل ما يسمى بالمجمعات الصحفية و اتخذ من سي.أن.أن "الناطق الرسمي له "و بذلك لم تتحكم أمريكا في العمليات العسكرية فقط و إنما تحكمت في الصورة و في أحداث ووقائع الحرب. هكذا إذن في الأزمات تختفي مبادئ كثيرة يتعلمها الصحافي في مقاعد معاهد و كليات و أقسام الإعلام و الاتصال الجماهيري. الصحافي في زمن الحرب مقيّد بالمسؤول العسكري الذي يوّجهه إلى المناطق التي يريدها و قد يتدخل حتى في الرسائل التي يرسلها إلى مؤسسته الإعلامية. في حرب الخليج الثانية تابع العالم و شاهد وقائع الحرب من خلال عيون أمريكية و هنا ضاع الإعلام و سيطرت الدعاية و الحرب النفسية على نشرات الأخبار و الصفحات الأولى من صحف و جرائد العالم. فما كان يرسله الصحافيون إلى مؤسساتهم الإعلامية كان يخضع لرقابة البنتاجون و كل ما كان يتناقض مع وجهة نظر الأمريكيين كان يوسم "بعدم الصلاحية للنشر لأسباب أمنية".

فحرب الخليج الثانية كانت حربا على مستوى العقول و الأفكار و الرأي العام قبل أن تكون حربا في الميدان و استطاعت أمريكا بخبرتها و قدراتها الدعائية و التضليلية الفائقة على التحكم في عقول البشر من خلال التحكم في صور الحرب ووقائعها.(Atkinson,1994; Denton,1993) فالمراسلون الذين قاموا بتغطية حرب الخليج الثانية كانوا يعتمدون في عملهم الإعلامي على توجيهات البنتاجون و على المؤتمرات الصحفية و البيانات التي كانت في معظمها تخفي أشياء كثيرة و تركز على أشياء أخرى ليست بالضرورة صادقة و دقيقة و موضوعية. هذه التبعية لا تسمح للصحافي أن يحافظ على نزاهته و موضوعيته و بذلك فإنه يجد نفسه مستعملا و مستغلا و مبتزا من قبل تجار الحروب و الأسلحة.

تواطأ الإعلام الأمريكي مع البنتاجون في حرب الخليج الثانية وقادت شبكة سي.أن.أ،ن الحرب النفسية كما شاءت و لم ينافسها أحد في ذلك لأن الآلة العسكرية الأمريكية تعلمت الدرس من حرب فيتنام و حروب أخرى خسرت فيها أمريكا معركة الصور حيث استطاع الإعلام الأمريكي و العالمي الكشف عن وحشية الجيش الأمريكي و عن خسائره الفادحة . فسواء في فيتنام أو في الصومال كلّف الإعلام أمريكا غاليا حيث أن الرأي العام أرغم الساسة على الانسحاب من الحرب و الاعتراف بالهزيمة. هذا ما أدى بالقادة العسكريين في صفوف التحالف باستعمال استراتيجية تبني الصحافيين في الوحدات العسكرية News Pool لتغطية الحرب ووقائعها و بذلك يصبح هؤلاء تحت رحمة العسكريين الذين يتحكمون في تحركاتهم و فيما يصورون و يكتبون، و هذا ما حدث بالضبط خلال حرب الخليج الثانية.

كان الإعلام العربي ضعيفا خلال حرب الخليج الثانية و كانت القنوات الفضائية محدودة و في بداية عهدها. فأمريكا ضربت عرض الحائط كل القيم و المبادئ المعترف بها عالميا بشأن حرية الصحافة و الموضوعية و النزاهة و الحياد الأمر الذي جعل العالم بأسره يتابع وقائع حرب الخليج الثانية بعيون و أذان أمريكية و هنا أختلط الإعلام بالدعاية و الحرب النفسية و التضليل و التعتيم. وبقي الإعلام العربي مكتوف الأيدي يتفرج و يستهلك الدعاية الأمريكية و التضليل و التشويه و شاطره هذه التبعية و هذا الخنوع الإعلام في جميع دول العالم بما في ذلك الدول الغربية و الدول المتقدمة. ربما سيؤدي هذا الابتزاز و هذا الاستغلال إلى انتفاضة أو صحوة من قبل الإعلاميين للحاق بمئات الآلاف بل الملايين عبر العالم الذين عبرّوا و ما زالوا يعبّرون يوما بعد يوم عن مواقفهم المناهضة للحرب و للنزعة العسكرية الأمريكية.(Hiebert,1991; Jensen,1992; Denton,1993).

" في وقت الحرب تكون الحقيقة ثمينة جدا الأمر الذي يتطلب حمايتها بحرص شخصي من الأكاذيب" هذه مقولة مشهورة للسياسي البريطاني المحنك وينستون تشرشيل. يقال كذلك أن الحرب أولها كلام. و يستوقفنا التاريخ عند نابليون

بونابرت عندما دخل مصر غازيا و أحضر معه من باريس مطابع لإصدار صحيفة يكمّل من خلال صفحاتها عمله الاستعماري و يسيطر من خلالها على الأفكار و العقول و يمارس الحرب النفسية و الدعاية و التضليل و التعتيم. ففي أوقات الحروب تتداخل خيوط الإعلام مع الدعاية مع الحرب النفسية. و الحرب بدون إعلام تبقى مبتورة و معتوهة و السؤال الذي يطرح نفسه في هذه الإشكالية: إشكالية الحرب و الإعلام هو أي إعلام يتلقاه المشاهد أو القارئ أو المستمع في العدوان على العراق هذه الأيام؟ و هل من موضوعية و حرية في نقل أحداث ووقائع الحرب و هل من استقلالية في معالجة القضايا و المسائل التي تحيط بالحرب خاصة و أنه يقال الحرب خداع. ففي هذه الأيام يجد المشاهد أو القارئ نفسه أمام سيل من الأخبار و المعلومات محشوة بالتناقضات و تضارب في الأخبار و المعلومات و الإحصائيات و المعطيات ووجهات النظر. فالحرب النفسية تفرض نفسها على منطق الموضوعية و الحياد و يصبح كل طرف متورط في الحرب يعمل جاهدا لكشف ما يخدمه و يخدم قوته و تفوقه في الحرب و هذا من أجل رفع معنويات الجيش و الشعب و كل من يتعاطف معه و ضرب معنويات الخصم. من جهة أخرى نلاحظ أن الطرف الأخر في الحرب يخفي خسائره و ضحاياه و يركّز على النجاح و النتائج التي حققها. في هذا السياق يقول الدكتور هيبرت:

> لقد شهدنا خلال حرب الخليج الثانية إما الاستعمال الأكثر تطورا في تاريخ البشرية للسلاح العسكري، أو الاستعمال الأكثر ذكاء للكلمات و الصور كأسلحة للحرب، أو الاثنين معا...إن الاستعمال الفعال للكلمات و الإعلام اليوم، في زمن الأزمات، يكون في مستوى أهمية الاستعمال الفعال للمدافع و القنابل. في النهاية، لا يكفي أن تكون قوي. الآن ضروري أن تتواصل. لكسب حرب اليوم، الحكومة ليست بحاجة لكسب الحرب في الميدان فقط، لكنها بحاجة كذلك لكسب عقول جماهيرها (Hiebert,1991:107+115)

ما دام أن الحرب خداع فإن كل شيء مباح للنيل من العدو و لو تطلب ذلك الكذب و ممارسة الحرب النفسية و الدعاية و التضليل و التعتيم.فالغاية تبرر الوسيلة، فتتضارب الأرقام و المعلومات و الأخبار و حتى عملية التأكد و التدقيق فيما تقدمه المؤتمرات و البيانات الصحفية تبقى صعبة و ليست بالأمر السهل.

الحالة الدراسية الثانية : أحداث سبتمبر 2001: من السلطة الرابعة إلى التضليل الشامل:

ما زال الكثير من المختصين و الباحثين و المنظرين في شؤون الصحافة و الإعلام و الاتصال الجماهيري يردد و يؤكد أن الصحافة هي السلطة الرابعة التي تراقب السلطات الثلاث في المجتمع : السلطة التشريعية و السلطة القضائية و السلطة التنفيذية. و منهم من رأى أن الصحافة هي بارومتر الديمقراطية و هي الأساس في إنصاف الفقراء و المساكين و الضعفاء، و هي الوسيلة الاستراتيجية للكشف عن الحقيقة و استقصاء الواقع حتى سماها الأمريكيون ب" كلب الحراسة"Watchdog Press، لكن واقع القرن الحادي و العشرين وواقع الحرب على الإرهاب يقولان أن الصحافة تحولت من السلطة الرابعة إلى وسيلة لتزييف الواقع و تضليل الوعي و فبركة الأحداث و الوقائع وفق ما تمليه عليها قوى المـــال و الأعمال و السياسة. فوسائل الإعلام اليوم، في عصر الفضائيات و الانترنيت و المجتمع الرقمي، أصبحت تكيّف الأحداث و الوقائع وفق القوى التي تتحكم في النظام، سواء كان ذلك النظام محلي أو عالمي. لقد كشفت الحرب على العراق الأخطاء و الهفوات و التجاوزات الخطيرة التي وقعت فيها وسائل الإعلام في مختلف أنحاء العالم حيث أنها انساقت وراء أطروحات تجار الأسلحة والحروب بدون أن تتجرأ و تحاول أن تكشف عن الأساطير و الأكاذيب و غيرها من آليات التضليل و التزييف التي تستعملها كبريات وكالات الأنباء ووسائل الإعلام العالمية. (مايكلز،2003، بازاك،2001).

تركت أحداث 11 سبتمبر و الحرب على العراق تداعياتها و انعكاساتها و بصماتها على جميع مجالات الحياة ليس في الولايات المتحدة فقط و إنما في جميع

أنحاء العالم. فبعد مرور أزيد من ثلاث سنوات على ضرب رمز القوة الأمريكية في نيويورك وواشنطن و ضرب أكبر قوة في العالم في عقر دارها و بعد عشرات المئات من المقالات و التقارير و الدراسات و البرامج الحوارية و السياسية في المؤسسات الإعلامية المختلفة و عبر جميع أنحاء العالم، نتساءل عن الثمن الغالي الذي دفعته الصحافة و المضايقات والتجاوزات التي تعرضت لها من جهة،، و من جهة أخرى نتساءل عن الانحرافات التي أُرتكبت في حق الكلمة الصادقة والأداء الإعلامي الموضوعي و الهادف من أجل تزويد الرأي العام بالحقائق و المعلومات و المعطيات. يبدو أن الخاسر الأول من أحداث 11 سبتمبر هي الممارسة الإعلامية و حرية الصحافة خاصة في الدول التي اشتهرت بتقاليد حرية الفكر و الرأي و التعبير، تلك الدول التي بنت الديمقراطية على أكتاف الصحافة الحرة، القوية و الفعالة. لكن ما حدث في التعامل مع وقائع 11 سبتمبر إعلاميا كشف أن وسائل الإعلام تخلت عن رسالتها و لم تفلح في أن تنصف جمهورها و أن تنصف الرأي العام سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي لمعرفة حقيقة الحدث و خلفياته و أبعاده، و أهدافه؟ هل استطاعت وسائل الإعلام أن تزيح الالتباس و الغموض و التضليل و التشويه و الصور النمطية و تقدم الواقع كما هو؟ أم أنها تسارعت و تفننت في فبركة هذا الواقع، واقع 11 سبتمبر وفق أهوائها و أهدافها و مصالحها ضاربة عرض الحائط أدبيات الموضوعية و الالتزام و النزاهة و تقديم الحقائق كما هي لا غير. الصحافي تيسير علوني سُجن في إسبانيا بدون محاكمة تزيهة و بدون أدلة تذكر، و غيره كثيرون في أرجاء العالم و المبرر هو محاربة الإرهاب و الأمن القومي و إلى غير ذلك من أدبيات أباطرة الرقابة و التسلط و التفنن في التعتيم و التكميم. هكذا إذن لم تصبح هناك فروق بين الدول السلطوية و الدول التي تدعي الديمقراطية و حرية الفكر و الرأي و التعبير و حقوق الإنسان. فأمريكا صاحبة " التعديل الأول" و البلد الذي يقدس حرية الصحافة ضربت عرض الحائط ما بنته خلال ما يقارب ثلاث قرون و أصبحت توّجه الأوامر لرؤساء التحرير و تتدخل

في افتتاحيات المؤسسات الإعلامية مثلها مثل أي دولة سلطوية أو دكتاتورية في العالم. (سلطان،2003) و هذا ما فعلته "كوندوليزا رايس" باسم الأمن القومي و الدفاع عن المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية.

أسالت حادثة 11 سبتمبر الكثير من الأحبار و أفرزت اهتمام إعلامي لا مثيل له في مختلف أنحاء العالم، فتهافتت المؤسسات الإعلامية بمختلف أنواعها و أشكالها و مشاربها المالية و الأيديولوجية و السياسية لتقديم الأخبار و التعاليق و البرامج التحليلية و الدراسات حول الأزمة و أبعادها و خلفياتها و تداعياتها. و السؤال المثير للجدل و النقاش و الدراسة من قبل الأكاديميين و السياسيينو المهتمين هو كيف تعامل الإعلام مع حادثة 11 سبتمبر؟ هل طرح كل الأسئلة التي خطرت و تخطر ببال الفضوليين من القراء و المستمعين و المشاهدين؟ هل اهتمت وسائل الإعلام بمعرفة لماذا استهدفت أمريكا دون غيرها؟ و من ضرب أمريكا؟ و ما هي الخلفيات و الأبعاد؟ هل تساءلت وسائل الإعلام عن كيف كان بن لادن بطلا في الثمانينات و حليفا استراتيجيا لأمريكا في محاربة الاتحاد السوفييتي و الشيوعية؟ و كيف أصبح الآن العدو اللدود لأمريكا؟ كيف كان بطلا و أصبح إرهابيا؟ و من الذي صنع بن لادن؟ ماذا حدث؟ ما هي علاقة ما حدث بما يجري في العالم من استغلال و ظلم و بطش و عدم تكافؤ في العلاقات الاقتصادية و السياسية الدولية؟ ماذا عن الإرهاب التي تمارسه العديد من الدول؟ و ما هو الإرهاب في المقام الأول؟هل تساءلت وسائل الإعلام الأمريكية عن عشرات الآلاف من الشباب العرب المسلمين الذين جندتهم وكالة المخابرات الأمريكية للجهاد في أفغانستان ضد العدو الشيوعي؟

أصبح الإعلام في القرن الحادي و العشرين صناعة تفبرك الواقع أكثر مما تشرحه و تفسره كما هو للرأي العام. الإعلام في عصر المجتمع الرقمي أصبح قوة تقرأ الواقع و تفسره وفق القوى المالية و السياسية التي تتحكم فيه . قراءة تفاعل المؤسسات الإعلامية الأمريكية مع أحداث 11 سبتمبر تعطينا الاستنتاجات التالية:

❖ معظم وسائل الإعلام الغربية ركزت على الإسلام و المسلمين و العرب و استغلت الحدث للتضليل و التشويه و التعتيم و تعزيز الصور النمطية ضد الإسلام و المسلمين و العرب و التي أصبحت معروفة و متداولة منذ زمن طويل.فتجاهلت وسائل الإعلام الأسباب الحقيقية و راحت تنظر لبعض الممارسات الخاطئة و المنحرفة عن تعاليم الدين الإسلامي و هذا ما أدى إلى التباس كبير جدا و حرك الكراهية و الضغينة و الحقد عند فئات كبيرة من الرأي العام في الدول الغربية و خاصة الولايات المتحدة الأمريكية الأمر الذي أدى إلى وقوع حوادث و تصرفات عنصرية راح ضحيتها الكثير من المسلمين و العرب الأبرياء في الدول الغربية المختلفة.و التناقض الصارخ هنا هو أن الغالبية العظمى من القائمين بالاتصال في الغرب و من المسؤولين في المؤسسات الإعلامية المختلفة لا يعرفون جيدا الإسلام و لم يحاولوا فهم هذا الدين و التفرقة و التمييز بين تعاليمه و تطبيقه في أرض الواقع.

❖ ركّزت وسائل الإعلام الغربية على نتائج 11 سبتمبر و تداعياتها على العلاقات السياسية الدولية و على الخريطة الاقتصادية العالمية و على الكثير من المفاهيم و المسلمات مثل الأمن القومي، و العولمة ...الخ، و أهملت الأسباب التي أدت إلى ما حدث و لماذا الاعتداء على أمريكا دون سواها. الأسباب أصبحت ثانوية و غير مهمة و لا قيمة لها و اصبح التركيز فقط على الأصولية الإسلامية و على الإرهاب حيث حاولت العديد من المؤسسات الإعلامية الغربية ربط ما يجري في فلسطين بما حدث في 11 سبتمبر. و هنا نلاحظ أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي استفادت من أحداث 11 سبتمبر لتطبيق إرهابها المستمر على الشعب الفلسطيني متذرعة بمحاربة الإرهاب. و استطاع بذلك السفاح أريال شارون أن ينفذ كل خططه الجهنمية للقضاء على كل بوادر التفاهم و الحوار كأساس لإقامة دولة فلسطينية . شارون و آلته الإعلامية الدعائية و المنتشرة في

أكبر و أهم العواصم العالمية استغل الإعلام الغربي لتمرير كراهية العرب و المسلمين و تشويه الإسلام.

❖ فسر الإعلام الغربي الأصولية الإسلامية بانتشار الفقر و البطالة و انعدام العدالة الاجتماعية متناسيا تماما أن النظام الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية هو نظام جائر غير عادل يبتز و يستغل الشعوب المغلوب على أمرها و أن السياسة الخارجية الأمريكية و دور الشرطي الذي تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية في العالم هو سبب كراهية الكثير من شعوب العالم لهذا البلد.

❖ تجاهلت معظم وسائل الإعلام الغربية كراهية الآخرين للولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن الأمريكيين أنفسهم فوجئوا بنتائج الاستطلاعات التي قاموا بها في مختلف أرجاء العالم. و السبب بطبيعة الحال يرجع إلى السلوك التعسفي و الجائر الذي تقوم به الولايات المتحدة في تعاملها مع دول العالم، و خاصة سياستها الخارجية في الشرق الأوسط و دعمها اللامحدود لدولة إسرائيل.

❖ تجاهلت معظم وسائل الإعلام الغربية سيطرة اللوبي الصهيوني على الكونجرس الأمريكي وبذلك السياسة الخارجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، كما تجاهلت الخضوع و الخنوع الأمريكي التام للكيان الصهيوني الذي يمارس يوميا إرهاب الدولة.فأمريكا تكيل بمكيالين في تعاملها مع ظاهرة الإرهاب و مع مبدأ تحرير الأرض و تقرير المصير.

❖ اعتمدت وسائل الإعلام الغربية في معظم تحليلاتها و دراساتها و برامجها على خبراء و مختصين و مراكز بحوث و دراسات تتميز بعدائها لكل ما هو عربي و مسلم و بولائها للكيان الصهيوني و الاطروحات الغربية المتطرفة التي لا تؤمن بحوار الحضارات و التفاهم و التواصل بين الشعوب. و لذلك لم نر شخصيات مثل "رجاء جارودي" أو "نعوم تشومسكي" أو "روبرت فسك" و غيرهم كثيرون على شاشات أو صفحات المؤسسات الإعلامية الغربية الفاعلة، و السبب البسيط لذلك هو أن أطروحات و أراء و وجهات نظر هؤلاء ستكشف " الفبركة"

و التلاعب Manipulation و التزييف و التضليل التي تقوم بها الآلة الإعلامية الغربية في عرض الأحداث وفق قراءتها هي و ليس وفق الواقع.

❖ لم تحاول وسائل الإعلام الغربية أن تقدم صورة عن العلاقات الدولية و عن النظام الدولي المفلس و المليء بالتناقضات و كذلك لم تحاول أن تكشف عن السياسة الخارجية الأمريكية من مشروع مارشال إلى يومنا هذا. كما لم تحاول أن تبرز التناقضات التي أفرزتها السياسة الأمريكية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي و بذلك انهيار الثنائية القطبية و انفراد أمريكا بالزعامة الدولية. الآلة الإعلامية الغربية جاءت سطحية في تعاملها مع وقائع 11 سبتمبر و حتى ما كتبه بعض الصحفيين الأوروبيين وعلى رأسهم الصحفي الفرنسي تييري ميسان صاحب كتاب "الخديعة الكبرى" لم يؤخذ بالجدية اللازمة و الكافية و إنما تم النظر إلى هذه الأطروحات بالسخرية و التهكم و الازدراء. فتييري ميسان يرى "أن التفجيرات نظمت من داخل قيادة الجيش الأمريكي" و روجي جارودي يرى أن " أحداث سبتمبر مؤامرة تواطأت فيها المخابرات و أجهزة الدولة" .

❖ لم تحاول الآلة الإعلامية الغربية أن تتساءل عن عملية استغلال أحداث 11 سبتمبر من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لإعادة صياغة العالم، و أن الحرب ضد الإرهاب ما هي إلى حرب ضد القانون الدولي و حقوق الإنسان التي أصبحت تعاني الكثير حتى داخل حدود أمريكا. فها هي ماري روبنسون مفوضة الأمم المتحدة العليا لحقوق الإنسان تقول " أن الولايات المتحدة الأمريكية تتذرع منذ 11 سبتمبر 2001 بمكافحة الإرهاب للتعرض لحقوق الإنسان و بالتالي فنحن نشعر بالقلق على تآكل الحقوق المدنية في الدول التي تحارب الإرهاب." و خير دليل على ذلك هو قانون الإرهاب المطبق داخل الولايات المتحدة الأمريكية و الذي قضى على كل ما له صلة بحقوق الإنسان و الحريات الفردية. ما يحدث في جوانتنامو و المعاملة الوحشية للسجناء هناك هو وجه أخر لانتهاك حقوق الإنسان.(قيراط،2003).

تعتبر عملية إخفاء الحقيقة الدرجة العليا من الجريمة و من الإرهاب و أن تزوير الواقع و تشويهه و التلاعب بعقول الجماهير لإرضاء حفنة صغيرة جدا من تجار الأسلحة و الحروب يفوق في خطورته أكبر الأعمال الإجرامية و الإرهابية، فالضمير المهني الإعلامي مطالب باستعمال المهنية و الحرفية و الأخلاق و الالتزام بهدف التفاهم و التواصل و الحب و الوئام بين الأجناس و الأعراق و الشعوب و الديانات، و حتى يصبح الإعلام مصدر لنشر القيم الإنسانية و المحبة و التفاهم و الرفاهية و الرخاء في جميع أنحاء العالم، و ليس لإشعال نار الفتنة و الحروب و الجرائم و الحقد و الكراهية و البغضاء و العنصرية.

الحالة الدراسية الثالثة: حرب أفغانستان:

في الأيام الأولى من حرب أمريكا على حركة طالبان انفردت قناة الجزيرة بتزويد العالم بأسره بتقارير و صور عما كان يدور في جبال "بورا بورا " و "كندهار"، الأمر الذي لم يرض الأمريكيين على الإطلاق حيث كان الإعلام الأمريكي يعتمد على ما تقدمه الجزيرة و كان الحل الوحيد لكسر هذه الهيمنة و التخلص من الرؤية العربية للحرب هو ضرب مكتب الجزيرة ب"الخطأ" كما يدعي الأمريكيون.و عندما انهزمت طالبان و انهارت و بسط الأمريكان نفوذهم في البلد و سيطروا على كل كبيرة و صغيرة فيه بسطت سي.أن.أن نفوذها بتحالفها المعتاد مع البنتاجون و من ثم أصبحت أمريكا تسيطر على العمليات العسكرية و على الصور و الأخبار و التحليلات و هذا ما يبحث عنه تجار الحروب. فالأمريكيون لا يكتفون عادة بالاستراتيجية العسكرية فقط و إنما يركّزون على الحرب النفسية و الدعاية من أجل التلاعب و السيطرة على العقول و الأفكار و الاتجاهات و من ثمة الرأي العام. و هذا ما جعلهم يركّزون على الإعلام منذ سنوات لكسب عقول الناس.

في زمن السلم أو الحرب يبقى الجمهور هو المفصل المحوري في عملية الاتصال و الجمهور له الحق وفق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الاتصـــال

و في الحصول على الأخبار و المعلومات بكل صدق و موضوعية و التزام لأن ما يحصل عليه الفرد في المجتمع من أخبار و معلومات هو الذي يحدد إطاره المرجعي و صورته الذهنية و بذلك سلوكه و تصرفاته فيما بعد. فالموضوع هنا إذن استراتيجي و هام و التلاعب بمهنة الإعلام و التلاعب بالمعلومة قد تكون له انعكاسات جد وخيمة على السلوك المسؤول و الرشيد في المجتمع. فرهانات الإعلام في زمن الحرب تكون أهم بكثير من العمليات العسكرية في مسرح المعارك و مسؤوليات الإعلام في زمن الحرب تكون أكثر بكثير من التزاماته في زمن السلم. (Carruters,2000) الأمر إذن يتعلق هنا بالأفكار و العقول و المواقف و العواطف. فدعاية جوبلز أدّت بالشعب الألماني بكامله إلى تبني حربا لم يكن بحاجة إليها لكن موقفه منها و بخاصة موقف وسائل الإعلام أدى إلى حرب عالمية بقيت انعكاساتها و تداعياتها قائمة حتى اليوم. و نفس الشيء يقال عن حروب استغلالية و استيطانية و عدوانية عانت منها البشرية الكثير منذ عصور خلت. و في كل هذا يبقى الضمير المهني يؤنّب كل إعلامي في العالم كان باستطاعته أن يفعل شيئا لتجنب الحرب لكن بدلا من ذلك نجده ساكتا أو متواطئا مع قوى همّها الوحيد هو المصالح و المكاسب المادية حتى و لو كانت على حساب عشرات الآلاف من الأطفال الأبرياء و المواطنين العزل.

الالتزام باحترام المهنة و الدفاع عنها و حمايتها من كل من يحاول المتاجرة بها أو استعمالها لأغراض غير المصلحة العامة و أغراض المجتمع هي التحديات الكبرى التي تواجه الصحافيين في جميع أنحاء العالم و عندما نقول هنا المصلحة العامة قد نقصد مصلحة الإنسانية جمعاء و البشرية في جميع أنحاء العالم. فالإعلام بإمكانه أن يكون وسيلة سلم و حوار و تقارب بين الشعوب و بإمكانه أن يكون وسيلة دمار و دعاية و تضليل و تشويه يهدّم و يخرّب أكثر مما يبني و يخدم الإنسانية و البشرية جمعاء. و مع الأسف الشديد ما زلنا في بداية القرن الحادي والعشرين نعاني من التضليل و التعتيم و التشويه و من الصور النمطية و الدعاية

و الحرب النفسية، و أصبح الجمهور يتعرض لرسائل إعلامية و منتجات ثقافية تجعل من المحرر و المظلوم ظالما و إرهابيا و تجعل من المستعمر (بكسر الميم) الغاشم المسالم و الديمقراطي و المحب للأمن و السلام في العالم. و هكذا تدهورت القيم و المبادئ و انحطت الأخلاق و أصبح الجمهور يشاهد صور الأطفال الأبرياء في العديد من دول العالم و هم يتعرضون للقتل و البطش و الاستغلال و الضمير الإنساني غائب أو مغيّب و الآلات و الأنظمة الإعلامية التي تحولت إلى أبواق ووسائل دعاية تبرّر التصرفات و السلوكيات الوحشية و الهمجية لتجار الحروب و الأسلحة.فأمريكا التي تحالفت مع الرئيس صدام حسين قبل عشرين سنة، و حرضته على شن حرب ضروس ضد الجمهورية الإسلامية في إيران، يقدمها و يصورها الإعلام اليوم كالدولة المحررة و المحبة للسلام و الشعوب و ها هي اليوم تقبل على العراق لتحرير الشعب العراقي من استبداد صدام حسين. أمريكا تصنع بن لادن و تجعل منه بطلا لتحرير أفغانستان من شيوعية الاتحاد السوفيتي ثم بعد ذلك تأتي إلى أفغانستان لتحرير الشعب الأفغاني من بن لادن و طالبان.

الحالة الدراسية الرابعة: حرب الخليج الثالثة:حرب على الهواء بين وزارة الإعلام العراقية و الآلة الإعلامية الأمريكية:

كالعادة و حسب تقاليد الحروب بدأت الولايات المتحدة الأمريكية التحضير للحرب منذ زمن طويل و تضاعفت إجراءات التحضير للحرب بعد أحداث 11 سبتمبر و إعلان الحرب على الإرهاب. فتارة يتهم العراق بعلاقاته مع القاعدة و تارة أخرى تنشر أخبار مفادها أن أسامة بن لادن موجود بالعراق، كما أُتهم العراق منذ انتهاء حرب الخليج الثانية بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، الأمر الذي فشلت جحافل فرق التفتيش على مدى عشر سنوات من إثباته. و تبرر أمريكا حربها على العراق بمحاولة نشر الديمقراطية في هذا البلد و التخلص من "الدكتاتور" صدام حسين و تحرير الشعب العراقي من هذا المستبد. للتذكير فقط

يعمل في الجهاز الحكومي الأمريكي أكثر من 9000 إعلامي و هناك أكثر من 1500 رجل إعلام و علاقات عامة في البنتاجون. كما تم تجهيز مركز إعلامي بالقاعدة العسكرية الأمريكية في السيلية بقطر بمئات الآلاف من الدولارات. (تشومسكي،2003). فالآلة الإعلامية الأمريكية اشتغلت منذ زمان لكسب الرأي العام الأمريكي أولا، ثم العالمي ثانيا. الرهان هذه المرة صعب حيث أن الآلة الإعلامية الأمريكية لم تفلح في عملياتها التضليلية و الدعائية و في كل مرة نلاحظ آلاف الأمريكيين يتظاهرون في مختلف مدن الولايات المتحدة الأمريكية منددين بالحرب و عدم جدواها و إمكانية تجنبها بطرق سلمية و دبلوماسية. لكن مع كل هذا نلاحظ إصرار صقور البيت الأبيض و تجار الحروب و الأسلحة على مواصلة سعيهم لتنفيذ خطط السيطرة و الهيمنة على النفط العراقي و على المواقع الاستراتيجية في المنطقة. و هنا نلاحظ تواطؤ "فوكس نيوز" و غيرها من المؤسسات الإعلامية العالمية في تهيئة الأجواء للرأس المال العالمي و لليمين المسيحي المتطرف، و للصهيونية العالمية لبسط النفوذ و السيطرة على الثروات و المناطق الاستراتيجية في العالم رغم أنف ملايين البشر و الرأي العام العالمي في مختلف أنحاء العالم.

كان هناك أكثر من 600 صحافي embedded journalists يعملون تحت مظلة البنتاغون في تغطية وقائع حرب الخليج الثالثة حيث توّفر الوحدات العسكرية الأمريكية لهم النقل إلى مواقع الأحداث و تحميهم و تزودهم بالملابس و الوسائل الواقية من أي خطر ينجم عن أية أسلحة خطيرة. التعاون مع البنتاجون يعني الرضوخ و القبول بالشروط المفروضة و القوانين "الدبلوماسية" التي يحددها مسبقا للتحكم في كل ما يكتب و ما يبث عن الحرب.

باندلاع العدوان على العراق اندلع الصراع على الصوت و الصورة بين وزير الإعلام العراقي من جهة و الناطق الرسمي باسم البنتاجون من جهة أخرى و بدأت حرب البيانات بين الطرفين و أصبح العالم يتابع على الهواء نوع أخر من

الحرب – الحرب النفسية حرب التضليل و التعتيم. و نظرا لقوة و تفوق الطرف الأمريكي فقد مارس البنتاجون مختلف الضغوط و طرق الترهيب و التخويف و حتى التصفية الجسدية.(منصور،2003؛ النديم،2001، أبو النور 2003) هكذا إذن أصبحت حرب البيانات و الصور و المؤتمرات الصحفية أهم بكثير مما يدور في ميدان العمليات و أصبح الصراع على أشده حول من يسيطر و يتحكم في أخبار الحرب و تفاصيلها و صورها هذا ما دفع بالأمريكيين إلى تجهيز مركز إعلامي بالسيلية بقطر حتى يستجيب لأهمية و استراتيجية الحدث. البنتاجون كان يوّجه ما يزيد على ال600 صحافي 80% منهم أمريكيين و البقية من دول التحالف و دول أخرى يشرف عليهم و يدلهم للأماكن التي يريدها و يتدخل فيما يكتبون و ينشرون و يبثون. الحرب إذن إعلام قبل أن تكون عمليات عسكرية تكتيكية و استراتيجيات في الميدان. الخبراء الأمريكيون لهم تاريخ في هذا المجال فبحوث الإعلام و الاتصال بدأت بحروب الدعاية و الحرب النفسية، كما جاءت دراسات و أبحاث التأثير و تحليل المحتوى من رحم إعلام الحروب و الدعاية و النزاعات و الحرب الباردة. في فيتنام تلقى الأمريكيون درسا لن ينسوه أبدا، الدرس تمثل في عدم تمكنهم من السيطرة والتحكم في أخبار و صور الحرب حيث شاهد الرأي العام الأمريكي صورا مروّعة و تلقى أخبارا حرّكته لينظم مسيرات و مظاهرات أدت في نهاية المطاف إلى الانسحاب الأمريكي المهزوم من المعجزة الفيتنامية (Braestrup,1994) و نفس الشيء حدث في الصومال حين شاهد العالم بأسره صورا عبّرت عن إهانة كبرياء الجندي الأمريكي.

كشف العدوان الأمريكي البريطاني على العراق عن تناقضات و إفلاس النظام الدولي و انحرافه عن القيم و المبادئ و القوانين و الأسس التي .حكم المنظومة الدولية. فأمريكا قصفت التلفزيون العراقي و مرافق الاتصالات و التليفون لعزل العراق عن العالم و إسكاته عن إبراز الحقيقة و تقديمها للعالم و كذلك التعبير عن وجهة نظره و موقفه من الأحداث و الوقائع. أمريكا قصفت كذلك قناة الجزيرة

و تلفزيون أبو ظبي و أطلقت الرصاص على الصحافيين لا لشيء إلا لأنهم يقدمون أخبارا و صورا تكشف الأعمال الوحشية و الإجرامية للآلة العسكرية الأمريكية. أمريكا تريد أن تسيطر على العالم و تخبر العالم و تستعمل ما تشاء من صور و أخبار ووقائع لكنها تمنع الغير من إخبار العالم و إعلامه .فالمنطق الأمريكي هو الكيل بمكيالين و أن معاهدة جنيف تطبق على العراقيين لكنها لا تطبق على الأمريكيين. فمن حق الأمريكيين إهانة سجناء "جوانتنامو"و معاملتهم كمجرمين و إرهابيين قبل محاكمتهم و من حق الأمريكيين منع الصحافيين من تغطية غزوهم لجزيرة "جرينادا" و التكتم عن اغتيال "سلفادور أليندي"، و مساندة "الكونتراز" بنيكاراغوا و الإطاحة بالنظام هناك و محاولة الإطاحة بالرئيس الفنزويلي "هوجو تشافيز"، لكن بقية دول العالم ليس لديها الحق في ممارسة حقها في الإعلامو الاتصال و الاختلاف في الرأي و هذا ما يتنافى جملة و تفصيلا مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان و مع الأعراف و المواثيق الدولية.

أحرج و ضايق الإعلام العراقي و الإعلام العربي و الدولي الموجود في بغداد و العراق بصفة عامة البنتاغون و التحالف الأمريكي البريطاني و أن مخرجات هذا الإعلام بمختلف مشاربه يفضح بالصوت و الصورة الأعمال الوحشية و الإجرامية التي تقوم بها القوات العسكرية الأمريكية و البريطانية.فشل العدوان الأمريكي و البريطاني في كسب المعركة الإعلامية و كسب الرأي العام العالمي حيث أن المشهد الإعلامي تغيّر و بصورة فائقة بعد يومين من اندلاع العدوان على العراق إذ كشفت الصور عن الحجم الكبير للمقاومة العراقية و ما تلاها من أسر و قتل العدد من الجنود الأمريكيين و البريطانيين و كذلك إسقاط مروحيات و طائرات عسكرية. من جهة أخرى شكّك إعلام التحالف في مصداقية صور صدام حسين و هو يجتمع بكبار المسؤولين العراقيين و قال أنه أصيب بجروح أو أنه قد لاقى حتفه و نفس الشيء قيل عن طارق عزيز و طه ياسين رمضان و مسؤولين عراقيين آخرين؛ الواقع كان عكس ذلك تماما و هنا أكتشف الرأي العام الأكذوبة

الكبيرة. كما تكررت الأكاذيب لاحقا فيما يتعلق بالادعاءات حول السيطرة على أم قصر، و البصرة و الزبير و غيرها من المواقع التي يدعي التحالف أنه حررها و يسيطر عليها تماما.

قصف و تدمير التلفزيون العراقي و تلفزيون الجزيرة و أبو ظبي و عدد من مرافق و منشئات الاتصالات و كذلك القتل المتعمد لعدد من الصحافيين يشكّل جريمة عدوانية في حق حرية التعبير و الرأي و حرية الصحافة. و بكل بساطة فالصور و الحقيقة تقلقان الأمريكيين و تحرك الرأي العام الأمريكي و العالمي ضد همجية صقور البيت الأبيض الذين تحرّكهم مصالح شركات البترول والصهيونية العالمية. و الغريب في الأمر هنا هو أن الأمريكيين يستعملون معاهدة جنيف حين يتعلق الأمر بصور أسراهم، لكنهم سرعان ما يتناسون هذه المعاهدة و يضربون ببنودها عرض الحائط عندما يكممون الإعلام العراقي بالقوة و العنف و يقصفون هيئة التلفزيون العراقي و مرافق الاتصالات و البث الفضائي و يطلقون النار عمدا على الصحافيين. هذه هي إذن، حرية الصحافة التي يتغنى بها الأمريكان و هذه هي المساعي الحميدة للعدوان الأمريكي " الذي جاء ليحرر الشعب العراقي و يعلمه الديمقراطية"، ديمقراطية إسكات الأخر حتى لو كان ذلك عن طريق التدمير و التنكيل و التصفية الجسدية..

الإعلام العربي متمثل في قناة أبو ظبي و الجزيرة و العربية فضح التحالف الأمريكي البريطاني و كشف عن الادعاءات المزّيفة للحرب النظيفة و للحرب الخاطفة التي تدوم بضعة أيام.فرض الإعلام العربي هذه المرة وجوده و استطاع أن يكشف أن ما يجري في ساحة المعارك يؤكد أن العدوان يستهدف تدمير العراق و لا يفرّق بين الأهداف المدنية و الأهداف العسكرية و إن قصف مبنى التلفزيون ما هو إلا دليل قاطع على ذلك. فمعاهدة جنيف تمنع ضرب الأهداف المدنية و تنص على"أن الضربات يجب أن تقتصر على الأهداف العسكرية فقط". فالإعلام العربي هذه المرة استطاع أن يفرض نفسه و يقدم البديل و يكشف المستور.

أفول السلطة الرابعة و الحاجة إلى السلطة الخامسة:

ما دار في الفلوجة بالعراق في حرب الخليج الثالثة و ما شهده العالم بأسره من تداعيات و انعكاسات 11 سبتمبر 2001 يوحي بتطورات خطيرة قد تعصف بالديمقراطية و حقوق الإنسان و حرية الصحافة حتى في أعتق ديمقراطيات العالم. ما كان متعارف عليه في الأوساط الإعلامية و السياسية بالسلطة الرابعة أي سلطة الإعلام التي تراقب السلطة التنفيذية و التشريعية والقضائية أصبح في أدراج المتاحف و أدبيات الماضي حيث أن ما يحدث هذه الأيام في الأوساط الإعلامية العالمية أصبح بعيد كل البعد عن كون وسائل الإعلام تشكل قوة مضادة أو سلطة تراقب تجار الحروب و الأسلحة و المتلاعبون بالعقول. فالإعلام الذي يغطي أحداث و مجازر و مذابح الفلوجة أصبح يطبل للحرب أكثر مما يعبر عن بشاعتها و عدم شرعيتها و قانونيتها و إنسانيتها. الإعلام كسلطة رابعة أصبح أسطورة و أصبح نظرية جوفاء لا أساس لها من الصحة في أرض الواقع. وسائل الإعلام أصبحت جزءا من القوى الفاعلة في المجتمع و أصبحت جزءا من البنية الفوقية التي تتحكم فيها قوى المال و السياسة. فالإعلام الذي كان من المفروض أن يكشف العيوب و التجاوزات و المغالطات الكبيرة و التلاعب الخطير بالرأي العام أصبح جزء من اللعبة يبرّر و يفسر و يضلل و يعتم لصالح الوضع الراهن و لصالح القوى الفاعلة في المجتمع على حساب غالبية الشعب و على حساب الموضوعية و الحرية والحقيقة. بالأمس كذب جورج بوش الابن على الشعب الأمريكي و على العالم بأسره و برّر حربه على العراق بأسلحة الدمار الشامل و علاقة صدام بين لادن، و صدّق الشعب الأمريكي و العالم بأسره الأكذوبة و غزت أمريكا العراق بحجة الحرب على الإرهاب. وتكررت الأكاذيب و جاءت أمريكا على الأخضر و اليابس بحجة الزرقاوي و الإرهابيين في الفلوجة هذه المدينة المقاومة، و الإعلام الأمريكي و العالمي و العربي يتفرج و لا أحد يحرك ساكنا. الاتحاد الأوروبي كذلك تميز بصمته و تواطئه الضمني على حساب قول الحق و حقوق

الإنسان و الحريات الفردية. في دارفور تحرك العالم في الاتجاه الذي حددته أمريكا و الآلة الإعلامية العالمية. رُفعت القضية إلى مجلس الأمن، أما ما يحدث في الفلوجة فلا يهم لا الاتحاد الأوروبي و لا الأمم المتحدة و لا الإعلام الذي من المفروض أن يناضل و يكافح و يضحي من أجل الموضوعية و الحرية و قول الحقيقة مهما كان الثمن. الممارسات الإعلامية هذه الأيام في عصر تكنولوجيا المعلومات و العصر الرقمي و العولمة تؤكد أفول السلطة الرابعة و انهيار أطروحة الإعلام كقوة مضادة و قوة فاعلة في المجتمع تراقب و تستقصي و تكشف عن الحقائق. فحتى في الدول الديمقراطية التي جاءت الحكومات فيها عن طريق الانتخابات الديمقراطية و التي تنعم بالفصل بين السلطات خاصة السلطة القضائية و السلطة التنفيذية، نلاحظ اختراق لمبادئ عديدة من أهمها الحق في الحصول على المعلومة و اختراق الحريات الفردية و الخصوصية و إلى غير ذلك. فقانون المواطنة Patriot Act في أمريكا يعتبر انتهاكا و تدخلا سافرا في خصوصية و حقوق المواطن الأمريكي و خاصة المواطن من أصول عربية أو إسلامية.

فمنذ ظهور العولمة أصبح مبدأ السلطة الرابعة فارغا من محتواه و لا يعني الكثير في عالم الاحتكارات الإعلامية و الصناعات الثقافية العالمية التي تنمّط و تقولب الرسائل الإعلامية وفق منظور معين و منطق محدد مسبقا. مؤسسات إعلامية ضخمة فرضت نفسها على الصناعات الإعلامية و أصبحت تحتكر الصوت و الصورة و النص، شركات رأسمالها يقدر بمئات المليارات من الدولارات مثل "نيوز كورب"، "فياكوم"، "أ.أو.أل تايم ورنر"، "جنرال الكتريك"، "مايكروسوفت"،"برتلسمان"، "مايكروسوفت"، "يونايتد جلوبال كوم"، "ديزني"، "فرانس تليكوم"، "تليفونيكا". لقد قضت الثورة الرقمية على الحدود التي كانت تفرق بين طرق الاتصال التقليدية: الصوت، النص، الصورة. كما جعلت من الانترنيت وسيلة اتصالية عالمية لا تؤمن لا بالحدود و لا بالأيديولوجيات و لا بالحواجز اللغوية. الانترنيت أصبحت الوسيلة الاتصالية العالمية التي يستعملها و يتفاعل معها مئات

الملايين من البشر. فالعولمة هي عولمة وسائل الإعلام و الاتصال و هي عولمة الشركات الضخمة التي تعد ميزانيتها بمئات المليارات من الدولارات ، هذه الشركات أصبح شغلها الشاغل الربح و الكسب و التوسع و الشهرة و العالمية على حساب "السلطة الرابعة" التي أصبحت موضة متآكلة تجاوزتها الأحداث في عصر العولمة. هذه الشركات الضخمة لا تهمها التجاوزات التي تحدث في حق حرية الصحافة و حرية الكلمة و قول الحقيقة. فهي بكل تأكيد لا تستطيع أن تكون لا سلطة رابعة و لا سلطة مضادة تقف أمام أنانية أباطرة أصحاب المال و النفوذ السياسي في المجتمع، حيث أن الشركات الإعلامية الضخمة أصبحت جزء لا يتجزأ من النظام أو " الإيستبليشمنت"Establishment على حد قول الأمريكيين، فالمؤسسات الإعلامية مع الأسف الشديد انحازت لسلطة المال و السياسة على حساب السلطة الرابعة و السلطة المضادة. فهي طرف في اللعبة حيث تداخل المؤسسات الإعلامية في المؤسسات الصناعية و العسكرية و الكل أصبح يتكامل و يتواطأ و يتعاون من أجل المال بغض النظر عن الوسائل و الطرق المستعملة و بغض النظر عن الثمن أو المبادئ التي توضع عادة في أدراج الرياح.(تشوسكي،2003،رشتي،2003؛ بومعيزة،2004، قيراط،2003)

بأفول السلطة الرابعة يتحتم على المجتمع محليا و دوليا أن يفكر في إقامة السلطة الخامسة للتصدي لأشكال و أنواع الدعاية و التلاعب بعقول الناس. السلطة الخامسة تتمثل في المجتمع المدني الذي يجب أن ينظم نفسه لمواجهة سلطة وسائل الإعلام التي انحازت للسلطات الثلاث في المجتمع و خاصة سلطة المال و السياسة. ما حدث في فنزويلا بين وسائل الإعلام و الرئيس "هوغو شافيز" و ما حدث بين وسائل الإعلام في الشيلي و الإطاحة ب"سلفادور أليندي" و ما يحدث هذه الأيام في الفلوجة و في العراق، كلها أدلة مخزية تؤكد إفلاس الأنظمة الإعلامية المختلفة ووقوفها إلى جانب أصحاب المال و السياسة و تجار الحروب و الأسلحة على حساب الجماهير البريئة و الرأي العام الذي لا حول و لا قوة له، تتلاعب به

رياح الدعاية و التعتيم و التضليل كما تشاء. (Ramonet,2003) فوسائل الإعلام في القرن الحادي و العشرين، قرن العولمة و عصر الرقمية ما هي إلا الوسائل الإستراتيجية للهيمنة و السيطرة و التحكم في مخرجات الفكر و الرأي و الأيديولوجية. بعبارة أخرى هي المنّظر و المبّرر و المفسر لما هو عليه العالم اليوم، عالم تحتكره و تسيطر عليه حفنة من "الصقور" و من أباطرة المال و السياسة. فالإعلام في عالمنا اليوم يتميز، على حسب قول "إغناسيو راموني"، بالتلوث و التسمم بكل أنواع الأكاذيب و الإشاعات و التضليل و التشويه و التلاعب. و المطلوب هو تطهير هذا الإعلام من كل هذه الشوائب و الملوثات. و من هنا يتوجب على المنظومة العالمية التفكير في إنشاء مرصد عالمي للإعلام لمراقبة التجاوزات و التلاعب بمؤسسة تلعب دورا استراتيجيا في صناعة الرأي العام محليا و عالميا، كما يتوجب على المجتمع المدني في كل دولة أن يشكل مرصد على المستوى الوطني لمراقبة التضليل و التعتيم و التلاعب بالحقيقة لصالح حفنة من أصحاب النفوذ المالي و السياسي. إن الصناعات الإعلامية الضخمة أصبحت تفضل مصالحها بالدرجة الأولى على حساب مصالح الشعوب و الدول و الأمم و الإنسانية جمعاء. التجارب في الميدان أكدت أن الصناعات الإعلامية الضخمة سرقت و نهبت حرية التعبير و حرية الصحافة من أصحابها الحقيقيين و هم الشعوب لصالح أصحاب المال و النفوذ السياسي و هذا الموقف يتناقض جملة و تفصيلا مع مبدأ الديمقراطية و مبدأ السوق الحرة للأفكار و مبدأ المسؤولية الإعلامية.

إن القوانين التي تنظم وسائل الإعلام عبر العالم حاليا هي قوانين بالية و غير قادرة على إيقاف مسلسل و سيناريوهات التلاعب واستغلال وسائل الإعلام لتحقيق مصالح ضيقة لجهات محددة. ما يحدث اليوم و أمام أعين العالم بأسره يعتبر وصمة عار على جبهة كل إعلامي يدعي أنه يدافع عن الحق و يكشف المستور عن كل ما هو معاد للإنسانية و لحقوق الإنسان. إن المجتمع المدني أمام مهمة

كبيرة جدا و مسؤولية ضخمة للوقوف أمام سرقة حرية التعبير و الحريات الفردية و حرية الصحافة من شعوب العالم قاطبة سواء في الدول المتقدمة و التي تدعي الديمقراطية و حرية الفكر و الرأي، أو في الدول النامية التي تعاني من نارين، نار الهيمنة و السيطرة الخارجية و نار التسلط و الدكتاتورية في الداخل. إن الوضع التي توصلت إليه وسائل الإعلام في القرن الحادي و العشرين يشير إلى خطورة كبيرة يجب دراستها و معالجتها في أقرب وقت ممكن، لأن الأمر يتعلق بتحنيط العقول و التضليل و التلاعب بالرأي العام العالمي على حساب المبادئ الأساسية للإنسانية و لحقوق الإنسان و لحريته و كرامته. إن ما يحدث في العراق و ما يحدث باسم محاربة الإرهاب و ما يحدث في فلسطين و أفغانستان ما هو إلا انتهاك مباشر و على الهواء لحقوق الإنسان و لحرية التعبير و الحريات الفردية. إن أخطر شيء تعاني منه البشرية هو تلويث الفكر و أكبر جريمة تعيشها هي التضليل و التشويه و إخفاء الحقيقة و ترويج الأكاذيب و الأساطير و سلب حق المعرفة و حق التعبير عن الرأي و حق الاختلاف في الرأي من عامة الشعوب في العالم. العالم اليوم بحاجة إلى سلطة خامسة توقف تواطؤ و تحالف وسائل الإعلام مع تجار الحروب و الأسلحة و ترجع الحق في المعرفة و الإعلام و الاتصال و الرأي و الاختلاف في الرأي إلى شعوب العالم. من غير الممكن ان تنعم البشرية بالاستقرار و الأمن و الطمأنينة و السلام في ظل إعلام ملوث و حابل بالأكاذيب و الأساطير و التضليل و التلاعب. حوار الحضارات لا يكتب له النجاح في ظل ممارسات إعلامية بعيدة كل البعد عن النزاهة و الموضوعية و المهنية و الالتزام.

الخاتمة:

بيّنت هذه الدراسة عدم انسحاب أي نظرية إعلامية على واقع الممارسة الإعلامية في زمن الحروب و الأزمات و أن منطق التضليل و التشويه و التلاعب هو الذي يفرض نفسه على الممارسة الإعلامية .أطروحة السلطة الرابعة التي تراقب السلطات الثلاث في المجتمع أصبحت مجرد كلام لا صحة له في أرض

الواقع. فالقوى المالية و السياسية لها رأي أخر في تعامل المؤسسات الإعلامية مع الوقائع و الأحداث في زمن الحروب و الأزمات. فالتغطية الإعلامية لحرب الخليج الثانية الثالثة حركتها القوى السياسية و العسكرية و المالية و ليس منطق الموضوعية و الحياد و البحث عن الحقيقة. فالصحافيون كانوا تحت رحمة العسكريين و تحت ضغوط كبيرة جدا قد تصل في بعض الأحيان إلى التصفية الجسدية. فالإعلاميون و من ورائهم المؤسسات الإعلامية عكسوا موقف حكوماتهم و دولهم على حساب المهنية و الموضوعية و النزاهة و الالتزام.

نموذج التلاعب يفسر استعمال المؤسسات الإعلامية أثناء الحروب و الأزمات من قبل القوى الاقتصادية و السياسية لغرض التضليل و التشويه و الدعاية و الحرب النفسية، و هذا ما يدعم الفرضية الأولى لهذه الدراسة " حسب نموذج التلاعب تتسم التغطية الإعلامية للحرب على العراق بالانحياز لموقف البلد الأم". كما أكدت نتائج الدراسة الفرضية الثانية "لا تنسحب النظريات الأربع للصحافة و لا نموذج السوق على التغطية الإعلامية للحرب على العراق". و من الحالات الدراسية التي استعرضها البحث تأكدت الفرضية الثالثة و التي مفادها " في تغطية الحروب يمتزج الإعلام بالدعاية و الحرب النفسية و يبتعد كليا عن مبادئ الموضوعية و الحرية".

لقد كذب الرئيس الأمريكي جورج ولكر بوش على الشعب الأمريكي بقوله أنه أعلن الحرب على العراق لأن هذا الأخير يمتلك أسلحة الدمار الشامل، و أن الرئيس صدام حسين يقيم علاقات مع أسامة بن لادن، و كان من الواجب المهني و الاحترافي للإعلام الأمريكي أن يتأكد من حقيقة أقوال الرئيس، لكنه لم يفعل و بذلك ساهم في تضليل الرأي العام الأمريكي و ساهم في التلاعب بالحقيقة و بذلا من تجنب الحرب ساهم الإعلام الأمريكي في إشعال فتيل الحرب ضد العراق ضاربا عرض الحائط أحد أهم مبادئ الصحافة الحرة في الديمقراطيات الغربية و هي مراقبة السلطة و الكشف عن أخطائها و تجاوزاتها The watchdog press

في حرب الخليج الثالثة أقامت الآلة الدعائية الأمريكية علاقات عمل مع وسائل الإعلام بتنظيمها مؤتمر صحفي يومي في كل من قاعدة السيلية في قطر، و البنتاغون، ووزارة الخارجية و البيت الأبيض. كما استعمل الأمريكيون، المشاهير و نجوم السينما و مشاهير الغناء و استخدموا كل الوسائل السمعية البصرية و الرقمية لإيصال وجهة نظرهم و رؤيتهم ليس للشعب الأمريكي فقط و إنما للعالم بأسره. ستكون الدعاية و تقنيات و فنون العلاقات العامة جزء محوري من أي حرب في المستقبل القريب. فالحكومات ستستعمل كل الشعارات و الوسائل و التقنيات للتلاعب بالرأي العام المحلي و الدولي لخدمة مصالحها و أهدافها على حساب الحقيقة، الموضوعية، الحياد، أخلاقيات العمل الإعلامي، حرية الصحافة، الحق في المعرفة، الحق في الاتصال و حقوق الإنسان.

حرية الصحافة اغتيلت أثناء العدوان الأمريكي البريطاني على العراق و في حروب و أزمات كثيرة في الماضي و العالم يتفرج و ضمير البشرية ساكت و يمكن القول هنا أن العلاقات السياسية الدولية و العلاقات الاقتصادية الدولية و مختلف المنظمات و المؤسسات الدولية قد أفلست أخلاقيا و أصبح يديرها و يقودها منطق المال و القوة و تجار الحروب و الأسلحة و خبراء الدعاية و الحرب النفسية. هكذا إذن نلاحظ احتلال على الهواء باسم التحرير و الديمقراطية، و هكذا أصبحنا نشاهد على الهواء حرق المكتبات و نهب المتاحف و العالم يتفرج و أمريكا تؤكد أنها جاءت لتنشر الديمقراطية و الحرية في أرض العراق. و في ظل هذه التناقضات نجد مؤسسات إعلامية مثل "فوكس نيوز" و "سي.أن.أن" و غيرها تهلل و تطبل و تصب الزيت على نيران الحرب و العدوان على الشعوب و ثقافاتها و حضارتها. هل حان الوقت لمساءلة الضمير المهني الإعلامي؟ هل حان الوقت لتفنيد أسطورة الموضوعية و الحرية و الاستقلالية الإعلامية؟ و هل حان الوقت لوقفة مع الذات و القول بكل صراحة أن مهنة الإعلام في أيامنا هذه و أكثر من أي وقت مضى انحرفت عن مسارها الصحيح

و خرجت عن المثل و الرسالة التي جاءت من أجلها ألا و هي خدمة الحقيقة و خدمة الأهداف النبيلة للإنسانية. يبدو، مع الأسف الشديد، أن صناع الأسلحة و تجار الحروب و *أباطرة السياسة و المال لديهم رأي أخر*.

نخلص إلى القول أن في زمن الحروب و الأزمات يحدث تحالف – قد يكون خفي و قد يكون ظاهر– بين وسائل الإعلام و السلطة و هذا ما من شأنه أن يجعلنا نقترح نظرية بديلة لنظريات الإعلام الكلاسيكية، تفسر سلوك و ممارسات وسائل الإعلام أثناء الحروب و الأزمات تحت مسمى نظرية تحالف وسائل الإعلام و الحكومة Press Government Coalition Theory. فبغض النظر عن مالك الوسيلة و ممولها و بغض النظر عن النظام السياسي و الاقتصادي و درجة الديمقراطية و الحرية في المجتمع نجد وسائل الإعلام حسب هذه النظرية، تنحاز كليا لحكومتها في أوقات الحروب و الأزمات، سواء تعلق الأمر بالدول الغربية الديمقراطية أو الدول النامية أو الدول الدكتاتورية و الأنظمة السلطوية. حيث نلاحظ استسلام وسائل الإعلام استسلاما كاملا للأيديولوجيا و للحكومة في عملية صناعة الأخبار و تجميعها و توزيعها من أجل فبركة و تشكيل و تكييف رأي عام محلي و دولي وفق مصالح و أهداف السلطة.

المراجع

* أحمد منصور (2003) "الحرب النفسية على الصحفيين في بغداد"، **البيان**، العدد 8314، 24 مارس، ص: 29.

* حسين النديم (2001) " الإعلام الأمريكي أكبر جهاز لغسل الأدمغة في التاريخ الإنساني"، **البيان-الملف السياسي** "الإعلام و الحرب: الصورة قبل المدفع أحيانا"، العدد 554، 28 ديسمبر،ص:55.

* خالد الحروب (2003) "حول مسايرة الإعلام العربي و الغربي للنظام في العراق قبل الحرب"، **الاتحاد**، 21 مايو، ص: 24.

* خالد عبد الله (2001)"حرية الإعلام في الغرب لمن يملكه فقط"، **البيان-الملف السياسي** "الإعلام و الحرب: الصورة قبل المدفع أحيانا"، العدد 554، 28 ديسمبر،ص:52.

* د/ جيهان رشتي(2003) "الحرب أثبتت أن حرية الإعلام الغربي مجرد خرافة!" **البيان-الملف السياسي**، "الحرب..مفاهيم جديدة للإعلام"، العدد 625، 9 مايو، ص:7.

* د/ محمد فراج أبو النور (2003) "الإعلام الأمريكي في خدمة البنتاغون: استراتيجية التضليل و الحرب النفسية في معركة العراق" **البيان-الملف السياسي**، "الحرب..مفاهيم جديدة للإعلام"، العدد 625، 9 مايو، ص:13.

* د/ محمد قيراط(2003) "كثير من الدعاية..قليل من الحقائق:الحرب و الإعلام...مساءلة النظريات و تكذيب أسطورة الموضوعية و الحرية" **البيان-الملف السياسي**، "الحرب..مفاهيم جديدة للإعلام"، العدد 625، 9 مايو، ص:10.

* د/محمد قيراط (2005) " من البحث عن الحقيقة إلى التزييف و التضليل"2/1و 2/2، جريدة **البيان**، 7و 14 يناير 2005.

* ستانلي هوفمان(2003) "الإعلام الأمريكي يفقد حريته و يردد أصداء ما يقوله المحافظون الجدد"، ترجمة مريم جمعه فرج، **البيان**2، العدد 512، 21 يونيو، ص: 14.

* السعيد بومعيزة، "التضليل الإعلامي و أفول السلطة الرابعة"، **المجلة الجزائرية للاتصال**، العدد 18، يناير-يونيو 2004، ص. ص. : 87-115.

* طلعت شاهين(2003)"المواجهة بين الصحافي و الجنرال..أو الحرب الأخرى"**البيان**،العدد 8367، 16مايو، ص:25

* د/ لعياضي نصر الدين، "بعض الافتراضات لدراسة علاقة الإعلام بالحرب"، **المجلة الجزائرية للاتصال**، العدد 18، يناير-يونيو 2004، ص. ص. : 116-128.

* ليندون لاروش (2001) "السي.أن.أن تمارس عملية غسل دماغ منظمة و علينا التوقف عن مشاهدتها"، **البيان-الملف السياسي** "الإعلام و الحرب: الصورة قبل المدفع أحيانا"، العدد 554، 28 ديسمبر،ص:53.

* مازن حمدي(2003) "الإعلام مجند في الجيش: النزاهة الصحافية...أولى ضحايا الحروب"،**الاتحاد**، 26 أغسطس،ص:4

* مايكل ماسينج (2003) "التخطيط الأمريكي نجح في حجب حرب العراق عن عيون الإعلاميين"، ترجمة ضرار عمير و مريم جمعة فرج، **البيان**2، العدد 484، 24 مايو، ص: 14.

* محمد الخولي (2003) "أمريكا من الإعلام إلى الإعلان إلى العلاقات العامة (2/1)"، **البيان**، العدد 8520، 16 أكتوبر، ص: 29.

* محمد الخولي (2003) "أمريكا من الإعلام إلى الإعلان إلى العلاقات العامة (2/2)"، **البيان**، العدد 8527، 23 أكتوبر، ص: 33.

* محمد حقي (2001) "السي.أن.أن نموذجا: الإعلام الأمريكي يترنح"، **البيان-الملف السياسي** "الإعلام و الحرب: الصورة قبل المدفع أحيانا"، العدد 554، 28 ديسمبر،ص:51.

* ميسون جحا (2003) " لتسويق سياساتها في العراق: الولايات المتحدة تدشن وسائل إعلام جديدة"، **الاتحاد**، 25 مايو، ص: 27.

* نادية سلطان (2003) "الإعلاميون الغربيون يعترفون بضغوط الإدارة الأمريكية على الصحافة"، **الخليج**، العدد 8908، 9 أكتوبر، ص: 8.

* نعوم تشومسكي (2003) " حرية التعبير يجري التلاعب بها: آلية إعلامية هائلة سُخرت في الحرب على العراق"، **البيان**2، العدد 478، 18 مايو، ص: 14.

* نيليما بازاك (2001) "الإعلام الأمريكي لم يطرح الأسئلة الحقيقية خوفا من الإجابات الصادمة"، **البيان-الملف السياسي** "الإعلام و الحرب: الصورة قبل المدفع أحيانا"، العدد 554، 28 ديسمبر،ص:68.

* هنري مايكلز (2003) "البنتاجون و الإعلام المتواطئ يصادران التغطية الحرة"، **الخليج**، العدد 8713، 28 مارس، ص: 10.

- Alterman, Eric (2003) " Il Parait que les Medias Americains sont de Gauche", *Le Monde Diplomatique*, Mars.
- Atkinson, R. (1994) *Crusade: The Untold Story of the Gulf War*. London: HarperCollins.
- Aulich, J. (1992) *Framing the Falklands War: Nationhood, Culture and Identity*. Milton Keynes: Open University Press.
- Beauregard, Claude, Alain Canuel, Jerome Coutard (2003) *Les Medias et la Guerre de 1914 au World Trade Center*. Paris: Edition du Meridien.
- Bennett, W. and Paletz, D. (eds) (1994) *Taken by Storm: The Media, Public Opinion and US Foreign Policy in the Gulf War*. Chicago: University of Chicago Press.
- Berkowitz, B.(2003) *The New Face of War: How war will be fought in the 21st Century*. New York: The Free Press.
- Berkowitz, D.(1997) *Social Meanings of News: A Text Reader*. London: Sage.
- Braestrup, P. (1994) Big Story: *How the American Press and Television Reported and Interpreted the Crisis of Tet 1968 in Vietnam and Washington*. Novato, CA: Presidio.
- Braw, M. (1991) *The Atomic Bomb Suppressed: American Censorship in Occupied Japan*. New York: Armonk.
- Carruters, L.(2000) *The Media At War*. Hampshire: PALGRAVE.
- Cohen, Stanley and Jock Young .)(1974) (eds.) *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media*. Beverly Hills,CA.: Sage Publications.
- Denton, R) (ed.) (1993*The Media and the Persian Gulf War*. Westport, CT: Praeger.
- Girardet, E. (ed.) (1995) *Somalia, Rwanda and Beyond: The Role of the International Media in Wars and Humanitarian Crises*. Dublin: Crosslines Global Report.
- Halimi Serge et Dominique Vidal (2000) "Lecons d'Une Guerre: Medias et Desinformation", *Le Monde Diplomatique*, Mars.
- Hallin, D. (1989) *The 'Uncensored War': The Media and Vietnam*. New York: Oxford University Press.
- Hammond, W.(1998) *Reporting Vietnam: Media and Military at War*. Lawrence, KA: University of Kansas Press.
- Hanania, Ray (2003) "Embedded Journalists Parrot Military Brief", *Gulf News*, March 30, p:14.

- Hiebert, Ray Eldon. (2003) "Public Relations and Propaganda in Framing the Iraq War: A Preliminary Review", *Public Relations Review*, 29(3):243-255.
- Hiebert, Ray Eldon. (1991) "Public Relations as a Weapon of Modern Welfare", *Public Relations Review*, 17(2):107-116.
- Hooper, A. (1982) *The Military and the Media*. Aldershot: Gower.
- Jeffords, S. and Rabinowitz, L. (eds.) (1994) *Seeing through the Media: The Persian Gulf War*. New Brunswick, NJ: Rutgers University Press.
- Jensen, R.(1992) 'Fighting Objectivity: The Illusion of Journalistic Neutrality in Coverage of the Persian Gulf War', *Journal of Communication Inquiry*, 16,I, 20-32.
- Kirat, Mohamed (1989) "Partiality and Biases: The Coverage of the Algerian Liberation War (1954-1962) by *Al-Ahram* and *Le Monde*", *Gazette* 44:155-175.
- MacArthur, J.(1993) *Second Front: Censorship and Propaganda in the Gulf War*. Berkeley, CA: University of California Press.
- Mowlana, H., Gerbner, G. and Schiller, H. (eds.) (1992) *Triumph of the Image: The Media's War in the Gulf, a Global Perspective*. Boulder, CO: Westview Press.
- Mustafa, Ahmed (2003) "U.S. Makes Al Jazeera a Target", *Gulf News*, March 30, p:9.
- Nayar, Kudlip (2003) " Western Media Turns into a Willing Tool", *Gulf News*, April 19, p:8.
- Parenti, M. (1993) *Inventing Reality: The Politics of News Media*. New York: St Martin's Press.
- Ramonet, Ignacio (2003) "Armes d'Intoxication Massive: Mensonges d'Etat", *le Monde Diplomatique*, Juillet.
- Rochat, Jocelyn (2000) "Les spin Doctors: Le triomphe des Manipulateurs des Medias", *le Quotidien d'Oran*, Jeudi 11 Novembre.
- Schudson, M. (1995) *The Power of News*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Siebert, F., T.Peterson, and W. Schramm (1956) *Four Theories of the Press*. Urbana, ILL: University of Illinois Press.
- Taylor, P. (1992) *War and the Media: Propaganda and Persuasion in the Gulf War*. Manchester: Manchester University Press.
- Young, P. and Jesser, P.(1997) *The Media and the Military: From the Crimea to Desert Strike*. London: Macmillan.
- Zogby, James (2003a) "TV Networks Bring War Realities Home", *Gulf News*, March 31, p:9.
- Zogby, James (2003b) "U.S Media Dances to White House Tune", *Gulf News*, May 5, p:9.
- Zogby, James (2003c) "Writing in the Present by Ignoring the Past", *Gulf News*, May 19, p:9.